لاول اذ يعود الى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان الضمير يعود الي
قوب مذكور والثاني الي قوم محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله وانذر اي يا محمد
الناس وقد مكر قومك مكرهم وذلك المكر هو الذي ذكر الله تعالي في قوله واذ يمكر بك
الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك **وقد مكروا مكرهم** اي ومكتوب عند الله
فعلهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه وقيل ان مكرهم لا يزيل امر محمد صلى الله عليه
وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
في الاية قول اخر وهو انها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود
ان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا انتهي حتى اصعد الي السما فاعلم ما فيها ثم امر نمرود
صاحبه فاتخذ لنفسه تابوتا وجعل له بابا من اعلاه وبابا من اسفله وربط قوايمه
الاربع باربعة نسور وكان قد جوعها ورفع فوق الجوانب الاربع من التابوت عصيان
اربعة وعلق على كل واحد منها قطعة لحم ثم انه جلس مع صاحبه في ذلك التابوت
فلما ابصرت النسور تلك اللحوم تصاعدت في جو الهوا فطارت يوما حتى بعدت
في الهوا فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاسفل وانظر الي الارض كيف تراها
ففعل فقال ارى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النسور
يوما اخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود لصاحبه افتح الباب
الاعلى ففتح فاذا السما كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سودا مظلمة ونودي
ايها الطاغي اين تريد قال عكرمة كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس
والنشاب فرمي بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بالدم بدم سمكة قذفت نفسها
من بحر في الهوا وقيل طاير اصابه السهم فقال كفيت اله السما فنكس تلك العصي
التي علق عليها اللحوم فتسفلت النسور وهبطت الي الارض فسمعت الجبال
خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت ان قد حدث في السماوات القيامة
قد قامت فكادت تزول عن اماكنها فذلك قوله تعالى **وعند الله مكرهم** اي من القوة
والضخامة **وان كان مكرهم لتزول منه الجبال** قال الرازي ولا حاجة في تاويل الاية الي هذا فانه
لم يجي فيه خبر صحيح معتمد انتهي والمراد بالجبال هنا حقيقتها وقيل شرايع الاسلام
المشبهة بها في القرار والثبات وقرا الكسايي بفتح اللام الاولى ورفع الاخيرة والباقون
بكسر الاولى وفتح الثانية والتقدير على القراة الاولى وان كان بحيث ان تزول منه
الجبال وقيل ان نافية واللام لتاكيد النفي **فلا تحسبن الله** الخطاب له صلى الله عليه
وسلم والمراد امته **مخلف وعده رسله** من النصر واعلا الكلمة واظهار الدين كما قال
تعالي انا لننصر رسلنا وقال تعالى لاغلبن انا ورسلي فان قيل هل لا مخلف
رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول اجيب بانه تعالى قدم ذلك ليعلم
انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليدل به
على انه تعالى لما لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد فكيف يخلف
رسله الذين هم خيرته وصفوته **ان الله** اي ذا الجلال والاكرام **عزيز** اي غالب

ينتقم

ينتقم ولا يقدر عليه **ذو انتقام** اي ممن عصاه وقوله تعالى **يوم تبدل الارض غير الارض**
بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا
اخري غير هذه المعروفة وقوله تعالي **والسموات** عطف على الارض وتقديره والسموات
غير السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم
جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا
اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الي شكل ومنه قوله تعالى فاوليك يبدل
الله سياتهم حسنات والاية محتملة لكل واحد من هذين المفهومين فعن ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير وانشد
وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم
تتبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتستوي فلا ترى
فيها عوجا ولا امتا وتبدل السما بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف
قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم
القيمة على ارض بيضا عفرا كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد اخرجاه في الصحيحين
العفرا بالعين المهملة هي البيضا الى حمرة ولهذا اشبهها بالقرصة النقي وهو الخبز
الابيض الجيد الفايق المايل الى الحمرة كان النار ميلت بياض وجهه الى الحمرة وقوله
ليس فيها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد لتبديل هيئتها وصفتها وزوال
جبالها وجميع بنايها فلا يبقي فيها اثر يستدل به وعن ابن مسعود انه قال
تبدل الارض بارض كالفضة البيضا نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة
وقال علي كرم الله وجهه الارض من فضة والسما من ذهب وقال محمد بن كعب وسعيد
ابن جبير تبدل الارض خبزة بيضا ياكل المومن من تحت قدمه وعن الضحاك ابيض من
فضة كالصحايف وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت سالت النبي صلى الله عليه
وسلم عن هذه الاية فاين تكون الناس يوميذ يا رسول الله فقال على الصراط اخرجه مسلم
وروي ثوبان ان حبرا من اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تكون الناس
يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الحشر قال الرازي واعلم انه
لا يبعد ان يجعل من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم والسموات
الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار
لفي سجين **وبرزوا** اي خرجوا من قبورهم **لله** اي لحكمه والوقوف بين يديه للحساب **الواحد**
اي الذي حضر يك له **القهار** اي الذي لا يدافعه شي عن مراده كما قال تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار ولما وصف نفسه سبحانه وتعالى بين عجزهم وذلهم بقوله
وترى يا محمد اي تبصر **المجرمين** اي الكافرين **يوميذ** اي يوم القيمة ثم ذكر تعالى
من صفات عجزهم وذلتهم امورا الصفة الاولى قوله تعالى **مقرنين** اي مشددين
في الاصفاد جمع صفد وهو القيد قال الكلبي كل كافر مع شيطان في غل وقال
عطا هو معنى قوله تعالى واذا النفوس زوجت اي قرنت فقرن نفوس المومنين

Copyr… Saud… University